/المحاضر ة الثانية

البوادر الأولى لتأسيس علم الاجتماع: و بدأت قي مطلع القرن 15 و هي ما يعرف بمرحلة القوانين أو المرحلة

الوضعية، اتسمت بتأثرها بالعلوم الطبيعية ومعارضتها للفلسفة الغيبية بغية الوصول إلى وضع قوانين ترشد و

تقود الظواهر والوقائع الاجتماعية مستخدمة التفسيرات العقلية، ومنهج الملاحظة المنظمة في دراسة الواقع

الاجتماعي، و منهج المقارنة لمعرفة ايجابيات وسلبيات وظائف وأنشطة أقسام المجتمع ودرجة تطوره وتمدنه

مطالبة بوحدة الفكر الإنساني والالتزام بالمثل العليا بهدف تحسين أوضاع المجتمع حسب قوانين و أطر يضعها

علم الاجتماع من أجل إعادة تنظيم المجتمع وبنائه وفق أسس وقواعد علمية ومن هنا جاء عدم إيمانها بالحقائق

المطلقة والقوانين الثابتة مقلدة العلوم الطبيعية متناسية أن العناصر البشرية وعلاقتها بعضها ببعض لا تشبه

علاقة العناصر الكيماوية، فعلاقة الفرد بالأسرة لا تشبه علاقة الأوكسجين مع الهيدروجين مثلا، ومن أبرز

مفكري هذه المرحلة:

أ فيكو جيوفاني باتيستا) - 1668 – 1744 (و هو عالم إيطالي، لم يوضح حاجة الفرد للاجتماع كما فعل

المفكرون العرب، إنما أوضح ثلاث مراحل تطورية يمر من خلالها المجتمع الإنساني هي:

المرحلة الدينية: أي عهد الإله وخوف الإنسان من مستقبله المجهول الذي يدفعه إلى تصوير الآلهة في أشكال-

رمزية يخاف منها ويحيطها بالخرافات والأساطير.

المرحلة البطولية: التي ينظر الناس خلالها إلى بعض رؤساء الأسر الكبيرة والملوك على إنهم أنصاف آلهة، -

وفي هذه المرحلة يتحرر الإنسان من سيطرة الدين وينتقل إلى سيطرة الإنسان)الملك أو الزعيم(وتظهر مبادئ

الفلسفة والآداب والفنون.

المرحلة الإنسانية:التي تسود فيها المدنية والنظم الديمقراطية ويكون دور الدين في المجتمع أخلاقيا فقط-

وتختفي الفروق الطبيعية والامتيازات الاجتماعية.

ب فولتير فرانسوا ماري أرويه) - 1694 – 1778 (: و هو عالم فرنسي، عرف عنه دفاعه المستميت عن

الإصلاح الاجتماعي بالرغم من القوانين الصارمة و العقوبات القاسية التي يتعرض لها كل من يحاول خرق هذه

القوانين، و على اعتبار أنه واحد من الذين برعوا في فن المجادلة و المناظرات، فلطالما أحسن استغلال أعماله

لانتقاد الكنيسة الكاثوليكية و المؤسسات الاجتماعية الفرنسية في عصره.

ج عصر التنوير: يعتبر القرن - 18 عصر الأنوار، من بين فلاسفة التنوير نجد مونتيسكيو، روسو، كانط هؤلاء

المفكرين وضعوا العقل فوق كل اعتبار، و أوكلوا له سلطة مطلقة تتجاوز حتى سلطة المقدس)سلطة رجال

الدين والكتب المقدسة(، بالنسبة لهم الإنسان يجب أن يكون مركز المعرفة ومصدرها، كما تظهره مقولة كانط

"فلتكن لديك الشجاعة والجرأة لتستخدم فكرك"، هذا التوجه العقلاني خلق في المجتمعات الأوربية انجذابا

قويا نحو العلم والمعرفة، ليكون عصر التنوير مناسبة لظهور العلموية* والفلسفة الوضعية*، حيث تركت

أعمالهم و أفكارهم بصمتها الواضحة على الثورة الأمريكية و الفرنسية.

كما ميز فولتير بين مرحلتين من تطور المجتمع الإنساني:

مرحلة الفطرة: التي افترضت خضوع الإنسان إلى قوانين العقل الصادرة عن الخليقة والطبع البشري- .

مرحلة القوانين: تسودها القوانين العادلة للمحافظة على بقاء الإنسان في الحياة و المساواة والإخاء واحترام

العادات والتقاليد والقواعد الاجتماعية.

ولا يتم انتقال المجتمع من المرحلة الأولى إلى الثانية بسهولة حيث هناك معوقات اجتماعية أهمها الفروق

الطبيعية وتباين الملكية وتنوع وتصارع الأجناس البشرية والاضطهاد الديني.

نشأة وتطور علم الاجتماع في الوطن العربي:

كانت بداية دخول علم الاجتماع إلى الوطن العربي عن طريق الجامعات والكليات)على الرغم من نشوئه على

يد المفكر العربي ابن خلدون(إلا انه منذ دخوله وحتى عام 1950 قد جلب معه معظم أدبيات ودراسات

ونظريات ومناهج علم الاجتماع الغربي ومن خمسينات حتى ستينات القرن الماضي انتقل إلى مرحلة جديدة

وهي النسخ، أي تقليد نتاجات الدراسات الغربية، سواء على نطاق البحث أو الموضوع من قبل الباحثين

الاجتماعيين العرب، وفي مرحلة السبعينات انتبه الباحثون العرب إلى ضرورة دراسة واقعهم برؤية تمثل

مجتمعهم العربي وبدون أدوات غربية، و في سنوات الثمانينات ظهرت الدعوة القومية لبعض الدارسين

والباحثين الاجتماعيين العرب الملتزمين بالموضوعية والواعين بمصيرهم القومي فاهتموا بطرح وتحليل مشاكل

وظواهر مجتمعهم العربي الأكبر أكثر من مجتمعاتهم الإقليمية.

و قد تكون مرحلة التسعينات متضمنة اختبارات لنظريات ودراسات وأفكار غربية من خلال البيئة العربية

والعقلية العربية وتقويمها ونقدها بشكل موضوعي غير متحيز أو إن الاجتماعيين العرب لن يقبلوا كل ما يأتي

من الغرب في ميدان علم الاجتماع بل ما يفيد مجتمعهم ومستقبله أو ما يتناسب مع مرحلته التطورية وأخيراً بعد

التأكد من نتائج الاختبارات والانتقادات سوف تظهر أفكار جديدة ومبتكرة أو متفاعلة تمثل العقلية العربية –

والطموح العلمي المنطلق من البيئة القومية ومن ثم تتفاعل مع محاولات مماثلة أو مشابهة في مجتمعات نامية

مثل مجتمعات أمريكا اللاتينية أو بعض مجتمعات آسيا مثل الهند وباكستان وبنجلادش وغيرها.

*العلموية هي نزعة تقوم على الإيمان بالقوة الكبيرة للعلم وقدرته على حلّ كل مشاكل الإنسانية، هي كذلك

اعتقاد فلسفي يؤكد أن العلم يتيح لنا معرفة كلية للأشياء الموجودة في الكون، وهي كافية لتحقيق الطموح

الإنساني.

*الوضعية (Positivisme) عقيدة فلسفية طورها أوغست كونت والتي تعتبر أن المعرفة الوحيدة) أو

السبيل الوحيد للمعرفة(هي ملاحظة الوقائع والتجربة العلمية

أهم التطورات الاقتصادية و الاجتماعية و الإيديولوجية التي واكبت ظهور علم الاجتماع الغربي:

النظام الإقطاعي: عاشت أوروبا في ظل هذا النظام عصور عدة، حيث كان المجتمع ينقسم لطبقتين أساسيتين هما

طبقة الإقطاعيين الذين يملكون جميع الأراضي الزراعية وطبقة دنيا من فلاحين وعمال وكانوا يمثلون النسبة

الكبرى من المجتمع كما – وجدت عدة طبقات أخرى كالأرستقراطية والنبلاء وطبقة التجار ورجال الدين–

المعرفة السائدة فيه ، معرفه لاهوتية ميتافيزيقية قدمت عن طريق الكنيسة ، والسبب في ذلك أن معظم القساوسة

ورجال الدين كانوا من الإقطاعيين الذين أرادوا ثبات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فقدموا للمجتمع معرفة

ثابتة هي المعرفة اللاهوتية، كانت المدينة مدينة تحكمها الصفوة و تعيش فيها، و هي الأقلية التي تتحكم في

القرارات السياسية والاقتصادية بشكل ديكتاتوري.

مرحلة التحول: حيث كون التجار ثروات طائلة فاقت ثروات القساوسة وملاك الأراضي فبعد أن كانوا يسموا

بحثالة البروليتاريا أصبح الكل يتودد إليهم، و باشروا باستثمار أموالهم في بناء المصانع على أطراف المدن،

وكونوا طبقة سميت بالطبقة البرجوازية.

الانقلاب الصناعي)بدايات تشكل النظام الرأسمالي العالمي(: حيث أرادت الطبقة البرجوازية قلب النظام

الإقطاعي إلى نظام صناعي رأسمالي، وكان الحل هو تغيير الفكر السائد، ومواجهة الفكر الكنسي اللاهوتي

بتقديم معرفة علمية حقيقية، فمثلاً الكنيسة تقول يمرض الإنسان لوجود أرواح شريرة بجسمه فيرد عليها العلماء

يمرض الإنسان لوجود اختلال بيولوجي أو كيميائي في الجسم عن طريق مسببات مادية، وكان أن احتضنت

الطبقة البرجوازية العلماء، فالعلوم التي تخدم الصناعة والنظام الرأسمالي هي التي تطورت تطور جذري.

و هنا ظهر علم الاجتماع الغربي كوليد للنظام الرأسمالي، و من نتائج هذه المرحلة نذكر:

تحول المركز الاجتماعي للإنتاج : حيث كانت القرية هي المركز الأساسي للإنتاج وذلك لارتباط النظام الإقطاعي

بالإنتاج الزراعي، ولكن بانفجار الثورة الصناعية أصبح هناك نظام اً اجتماعياً جديداً اتخذ المدينة مركزاً له،

وكان ذلك بشكل طبيعي لأن الطبقة البرجوازية من سكان المدن أساسا والبرجوازية هي التي قادت الانقلاب

الصناعي، كما تطورت نظم المصانع الحديثة في المدينة وأصبحت المدينة مركز جذب لقوى العمل الموجودة في

الريف.

تحرير قوى العمل: من الشعارات الفلسفية التي قامت عليها الرأسمالية تحرير قوى العمل بمعنى تحرير حركتها

التي كانت مقيده تحرير حركة الانتقال بوجه عام.

و قد أدت حرية حركة الانتقال)انتقال قوى العمل وانتقال التجارة(إلى زيادة عدد الهجرات بصورة كبيرة من

الريف إلى المدن، وظهور خصائص جديدة للمدنين فبعد أن كانت المدينة مدينة صغيرة أصبحت مدينة طبيعية

طبقية بها العديد من الطبقات الجديدة كطبقة البروليتاريا أي الطبقة العاملة الصناعية.

ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية: كنتيجة لفيض قوة العمل مثل انخفاض الأجور، زيادة ساعات العمل،

خروج النساء والأطفال للعمل، انتشار مظاهر البؤس و التخلف في المدينة نتيجة تكدس الأفواج العاملة

المتدهورة في مناطق معينة.

أيضا، ظهور طبقات جديدة في المدينة كالبرجوازية والبروليتاريا واتسام العلاقة منذ البداية بالتوتر وذلك لأن

الطبقة البرجوازية تسعى لاستغلال جهود العمال من خلال الأجور المنخفضة من ناحية وزيادة ساعات العمل

من ناحية أخرى رغبة في الثراء السريع وتحقيق مركز اجتماعي مسيطر حيث كان ينظر لهذه الطبقة سابقاً على

أنها لا تتمتع بأي أصل اجتماعي بحكم هامشيتها وعزلتها في النظام القديم وبحكم تكونها من فئات محتقره

كالبروتستنت واليهود، حيث كانت النظرة لهذه الطبقة أنهم محدثو غنى أو أغنياء جدد صعدوا من قاع المجتمع

لقمته وليس لهم هم إلا زيادة ثرواتهم بصرف النظر عن المعايير الأخلاقية.

بالإضافة إلى ظهور أشكال جديدة من الملكية، حيث كانت الملكية في النظام الإقطاعي هي ملكية أراضى

زراعية، ولكن مع سيطرة النظام الرأسمالي ظهرت الملكية الرأسمالية أي ملكية رأس المال الثابت)كالمصانع

والآلات(ورأس المال الصغير)المصرفي والمالي(، و قد نظر بعض المفكرين لهذا الشكل من الملكية نظره

دلت على أنه نتيجة للجشع والاستغلال واللاأخلاقية.